أساليب التربية الأسرية وعلاقتها بالمشكلات السلوكية لدى الطفل

أ/ نادية بوذراع
كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة باجي مختار – عنابة

الملخّــص:

تعد الأسرة من العوامل الأساسية لبروز السلوك السوي أو غير السوي لدى الأبناء من خلال ما تمارسه من قواعد الضبط الاجتماعي في مختلف مواقف التنشئة الاجتماعية.

تحاول هذه الورقة، معالجة علاقة أنماط التربية الأسرية بالمشكلات السلوكية لدى الأطفال، بالتركيز على أساليب التربية غير السوية التي يمثل الرفض الوالدي أهم أنماطها والذي يظهر في النبذ والقسوة والإهمال وغيرها...

Résumé :

La famille représente l'un des facteurs fondamentaux dans l'apparition de comportements sains ou malsains chez l'enfant a travers les différentes situations de socialisation.

Nous traiterons a travers cet article, le rapport entre les pratiques éducatives parentales et les problèmes comportementaux chez l'enfant, nous insisterons sur les styles incorrects qui se traduisent par le reget, négligence, la maltraitance de l'enfant ....etc

مقدمـــــــة

تعد الأسرة مؤسسة اجتماعية مسؤولة بالدرجة الأولى عن التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي، حيث تلعب دورا أساسيا في سلوك الأفراد بطريقة سوية أو غير سوية، وذلك من خلال النماذج السلوكية التي تقدمها لصغارها. فأنماط السلوك والتفاعلات التي تدور داخل الأسرة هي النماذج التي تؤثر سلبا أو إيجابا في تربية الأطفال . حيث تبدأ عملية التنشئة الأسرية بمجرد ولادة الطفل، هذا الأخير الذي يتعرض لأنماط مختلفة من الممارسات الوالدية تؤثر على نموه النفسي وتحديد الملامح المكونة لشخصيته، كما تؤثر على أنماط سلوكه . بمعنى : إذا كانت الممارسة التربوية الوالدية سليمة، كان نمو الطفل وسلوكه سليما وإذا اكتست هذه الممارسة طابعا سلبيا فإنها تؤثر سلبا على الطفل خاصة إذا كانت تميل إلى النبذ والمعاملة المتحكمة المتسلطة فقد لا تكتفي بتشويه صورة الطفل عن ذاته بل تعرضه أيضا لاضطرابات سلوكية هامة . وفي هذه المساهمة، نحاول إبراز علاقة أساليب التربية المعتمدة في الأسرة بالمشكلات السلوكية لدى الطفل.

أوّلاً: أساليب التربية الوالدية :

يقصد العلماء والباحثون بمفهوم الأساليب التربوية التنشئة الاجتماعية العامة غير أن التنشئة الاجتماعية تتضمن الكثير من الصور التربوية، من بينها:

1. **الأساليب التربوية الأسرية:** أو التنشئة الأسرية. يحصر البعض التنشئة الأسرية في مفهوم الاتجاهات الوالدية. ويقصد بذلك سلوك الوالدين نحو أبنائهما في مواقف التنشئة الاجتماعية[1].

2. **الاتجاهات الوالدية:** وهي عند بعض العلماء، الكيفية التي "يدرك بها الكبار دورهم الوالدي، الذي يؤثر في اتجاهاتهم كآباء وأمهات"[2].

3. **أساليب المعاملة الوالدية للأبناء:** حيث هي تعبير عن كل ما يراه الآباء ويتمسكون به في معاملتهم لأبنائهم في مختلف المواقف التي يتعرضون لها في حياتهم[3].

وعلى العموم تعرف الأساليب التربوية الأسرية، أو التنشئة الأسرية بأنها "الوسيلة التي يتبعها الآباء لكي يلقنوا أبنائهم القيم والمثل وصيغ السلوك المتنوعة التي تجعلهم يتوافقون"[4].

وإذا اعتبرنا أن المعاملة هي السلوك الموجه نحو الطفل في مجال الأسرة فنحن أمام مجموعة الأساليب التربوية، صحيحة أو خاطئة(*)، المعتمدة في تلقين السلوك الاجتماعي للأطفال .

من الأساليب التي تعتبر صحيحة وسليمة تلك الأساليب التي تنطوي على جوانب إيجابية تساهم في النمو الإيجابي والسليم لشخصية الطفل وسلوكه. أما الأساليب التي توصف بأنها خاطئة فهي تلك التي نطوي على جوانب سلبية وتؤثر بالسلب على شخصية الطفل وسلوكه .

هكذا يمكن الوقوف على كثير من أساليب التربية السليمة وأساليب التربية غير السليمة في مختلف المواقف الاجتماعية في إطار ممارسة الأسر للتنشئة الاجتماعية.

أ. بعض النماذج من التربية الوالدية :

في الواقع يبدو التراث المعرفي والحقول العلمية في مجال التربية زاخرا وله كم وافر من الدراسات والاهتمام بموضوع التنشئة الاجتماعية، والتي عملت على تحديد الاتجاهات الوالدية نحو تربية الأبناء بصورة عامة. وفي هذا الإطار برزت نماذج عديدة في التربية الوالدية نذكر من أهمها(5) :

- **نموذج سيموندز:** يقوم هذا النموذج على بعدين أساسيين من مواقف الآباء من الأبناء، وهما بعد تقبل الآباء لأبنائهم في مقابل رفضهم لهم، وبعد سيطرة الآباء على الأبناء في مقابل خضوع هؤلاء لأولئك .
- **نموذج سكيفار:** أما سكيفار فقد قام بدراسة متكاملة عن علاقة الطفل بوالديه، واستطاع من خلالها الخروج بمجموعة من أساليب المعاملة صاغها في الصور محددة مثل : أسلوب الاستقلال في مقابل الضبط، وأسلوب التسامح في مقابل التقييد، وأسلوب الحب في مقابل العداء، أسلوب القبول في مقابل الرفض.
- **نموذج بيكر** : لقد قام بيكر سنة 1963 بدراسة اقترح فيها نموذجا جديدا يعتمد على ثلاثة أبعاد لتنظيم سلوك الوالدين تجاه أبنائهم، وهي : الحب والدفء في مقابل العداء، والتشدد في مقابل التسامح، والاندماج الانفعالي القلق في مقابل الحياد الهادئ .

• **نموذج ديانا بومريند:** في دراسة علمية مبنية على الملاحظة المباشرة توصلت هذه الباحثة إلى صياغة أربع صور من أساليب معاملة الوالدين لأبنائهم، وهي[6]:

#الضبط الوالدي، مطالب النضج، الاتصال بين الوالدين وأبنائهما، الحنان والعطف أي الدفء الوالدي .

وفي دراسة أخرى لنفس الباحثة، فقد حددت فيها ثلاث أنماط أساليب المعاملة يستخدمها الآباء لضبط الأبناء، وهي:

• **النمط التسلطي:** ويتميز بالضبط الصارم، وإيقاع العقاب المتكرر، وعدم الاستماع للطفل، والبرود العاطفي، والتأكيد الشديد على القواعد السلوكية لأنها قواعد فقط. ويلاحظ الباحثون في المجال التربوي عموما أن هذا النمط يترك آثارا سلبية في سلوك الأطفال تتمثل في الشعور بالتعاسة، والانسحاب، وعدم الثقة في الآخرين، والعداوة، والتحصيل الدراسي المنخفض...الخ.

• **الضبط التربوي:** وهو نمط من المعاملة التربوية قائم على الضبط المعتدل، والحزم، والتواصل، والحب، وإيقاع العقاب البدني أحيانا، والمكافأة على السلوك الجيد، وإعطاء تفسيرات للقواعد التي ينبغي إتباعها. وحسب العلماء والتربويين فإن هذا النمط التربوي يخلف آثارا إيجابية في سلوك الأطفال، تتمثل خاصة في الميل إلى التوكيد والضبط الذاتي، والرضا والتعاون، والتقدير المرتفع للذات، والاعتماد على الذات والتحصيل الدراسي الجيد .

• **التساهل المفرط:** يتميز هذا النمط بالدفء دون الصرامة أو ضبط، كما يتميز بوجود عدد قليل من القواعد السلوكية وندرة العقاب وعدم الثقة في مهارات الأطفال أو عدم الثبات في المعاملة. وتبين بأن هذا النمط من التربية يؤثر هو الآخر سلبا على سلوك الأطفال، ويبرز هذا الأثر خاصة في قلة الاعتماد على الذات، وضعف الضبط الذاتي، والتعاسة وانخفاض مستوى التحصيل الدراسي .

وتجدر الإشارة في النهاية إلى أن الأنماط الثلاثة للأساليب الوالدية في تربية أبنائهم كما تم تحديدها عند **بومريند** Baumrind هي أساس كل الأنماط الواردة عند غيرها من العلماء والباحثين مهما اختلفت تسمياتها أو تقاطعت فيما بينها .

والحقيقة تعتبر الدراسات التي تناولت مختلف أشكال الممارسة التربوية كثيرة ومتنوعة لا يسعنا أن نعالجها بالتفصيل، وعليه فقد ركزت مساهمتنا هذه على الأساليب التربوية ذات التأثير السلبي على سلوك الأطفال نشير إليها فيما يأتي.

ب. أساليب التربية الأسرية ذات التأثير السلبي:

في الحقيقة تتخذ هذه الأساليب صورا عديدة من المعاملة تجاه الأبناء نذكر منها ما يلي :

● **النبذ** : قد يسلك بعض الولدين مع أبنائهم ألوانا عديدة من سلوكات الرافضة يترتب عليها في النهاية شعور هؤلاء الأبناء بعدم رغبة والديهم، ويتجلى ذلك في نبذ الطفل، والتنكر له والسخرية من أفكاره، والانتقاص من قيمته ومقارنته بأقرانه أو إخوته، وتوجيه اللوم والنقد له عند قيامه بأي تصرف خاطئ مهما كانت درجته، عدم التكلم عنه بخير والشك في تصرفاته وأقواله، وفي مثل هذا الجو يتصف الطفل بأن اهتماماته ورغباته تنكر عليه أو تعتبر غير مهمة وكلما حاول تأكيد نفسه يقابل بإنكار جائر وعدم الفهم من والديه[7] .

ويقسم **مصطفى فهمي** النبذ الذي يقوم به الوالدين تجاه الأبناء إلـــى نوعين[8]:

– قد يكون نبذا دائما منذ البداية، وفي مثل هذه الحالات لا يشعر الوالدين بحبهما لأبنائهما، **بل** يحاولان إخضاع الطفل إلى بعض القواعد السلوكية الصارمة حسب **بولدوين**.

– وقد يكون النبذ على شكل تجاهل لرغبات الأبناء، يظهر في لامبالاة الآباء لبعض ما يرغب فيه الطفل، مثل الحاجة لنوع من الملابس واللعب والمشاركة في النشاطات واختيار الأصدقاء...الخ.

● **الإهمال :** ويتجلى الإهمال في ترك الطفل دون مراقبة أو توجيه أو إثابة السلوك المرغوب أو محاسبة السلوك الخاطئ ويظهر كذلك في إهمال الطفل في ملبسة وعدم إشباع حاجاته الضرورية الفيزيولوجية والنفسية، وعدم إثابته ومدحه عندما ينجز عملا طيبا، أو السخرية منه في حالة استحقاقه الثناء والمدح والتشجيع[9] ...

ويشير **بوبلي** إلى أن من بين الأسباب التي تؤدي في بعض الأحيان إلى إهمال الوالدين أو أحدهما أو اختفائه من حياة الأسرة عجزا من مواجهة مطالب الحياة ومسؤوليتها التي لا يستطيع تحملها أو الوفاء بها لسبب أو لآخر، أو قد يرجع الإهمال إلى كثرة الأبناء في الأسرة، ونجد ذلك في الأسرة الفقيرة حيث يكثر عددهم وتزيد مطالبهم وحاجاتهم بدرجة يعجز عائل الأسرة عن الوفاء بالتزاماته نحوهم أو برعايتهم رعاية كاملة. كما أن تعدد الرغبات يحول في كثير من الحالات دون التوجيه والرعاية والرقابة اللازمة على الأبناء، فالمنزل المزدحم يعوق الوالدين عن مناقشة سلوك أبنائهم ومشاكلهم[10] .

- **الحرمان:** ويتمثل في إقامة الحواجز في طريق الطفل ومنعه من تلبية بعض رغباته وميوله واتخاذ القرار وغيرها، ويهدف الوالدين بذلك تحديد القواعد السلوكية التي تناسبهم والتي يجب على الطفل احترامها أو عدم تجاوزها[11]. مما يدفعه إلى كثرة استخدام الحيل الدفاعية التي إن زادت عن الحد المعقول فإنها تتحول إلى اضطرابات سلوكية .
- **القسوة :** وتتمثل في استعمال الوالدين شتى أنواع العقاب البدني كأسلوب أساسي في تنشئة الأبناء ومن هذه الأساليب العقابية، ضرب الأبناء واستخدامهما لأسلوب العقاب من خلال تحقير الطفل والتقليل من شأنه وإشعاره بالذنب والنقص عنده[12].

وقد يعتقد الوالدين أن العقاب نوع من الوسائل التربوية العامة تقتضيها عملية تربية الأبناء ولا يدركون خطورتها على نمو طفلهما النفسي والاجتماعي ويرى"**ثراوت بروديزينزكي**" أن الوالدين يستخدمان أشكالا عديدة من العقاب تتروح بين الكره الحقيقي إلى إيقاع الألم الجسمي إلى النقد اللفظي أو التوبيخ أو سحب الحب والامتيازات . ويضيف أنه عندما يأخذ العقاب البدني صورة قاسية جدا لدرجة إيذاء الأبناء وجرحهم فإننا في هذه الحالة بصدد ما يسمى بسوء المعاملة، إذ يعتبر البعض أن سوء المعاملة شكل من الأشكال القاسية والعنيفة في التعامل مع الأبناء وعليه فإن العقاب البدني القاسي المفرط، والعداء الوالدي، والعدوان المتطرف...إلخ، جميعها يسبب سوء المعاملة.

ج. تفسير سوء المعاملة لدى الأطفال

لقد اختلف المتخصصون حول تحديد أسباب تلك الإساءة حيث وضع لها **بارك كولمر** وزملاؤه ثلاثة تفسيرات هي :

– **التفسير الطب – نفسي :** وفيه ركز الباحثون على شخصية الوالد المسيئ، مريض وفي حاجة لعلاج مكثف وقد وجه المنظرون أول النظر إلى السمات الذهانية الواضحة في البالغين الذين أساءوا معاملة أبنائهم، وكشف الباحثون أن الوالد المسيئ هو نفسه أسيئت معاملته وهو طفل. ويتفق **بليكسي مع كولمر** وأكد على أن تاريخ تنشئة الأم والأب يمكن أن يكون عاملا مسببا في عملية سوء معاملة الأبناء .

– **التفسير الاجتماعي:** ركز فيه الدارسون على بعض الخصائص العامة للقيم الاجتماعية والمجتمع ونظام الأسرة، فالعنف السائد في المجتمع. والذي يقبله ذلك المجتمع، والعنف في برامج التلفزيون والسينما، علم الوالدين والأبناء على السواء أن العنف طريقة مقبولة لحل الصراعات ... فالمجتمع والثقافة المشجعة للعقاب البدني والعنف في تنشئة الأبناء من العوامل المسببة لسوء معاملة هؤلاء الأبناء .

كما أن هناك عوامل اجتماعية أخرى وراء حدوث سوء الأبناء من بينها الحالة الاجتماعية والاقتصادية مثل البطالة، مواقف الأسرة المنعصبة بسبب المشكلات المالية، وعدد أفرادها الكبير وغيرها ...

– **التفسير الاجتماعي الموقفي :** ويرجع فيه المتخصصون إلى العوامل البيئية، ويركزون على أنماط التفاعل بين أعضاء الأسرة ويدركون فيه الأبناء على أنهم مشاركون فعالون في هذه العملية، فالأبناء لم يعودوا ضحايا لكنهم عنصر مساهم ومسبب في عملية الإساءة كالإبن الكسول أو المتمرد[13] ...

إن خضوع الوالدين لمثل هذه التصرفات وعدم تهذيبها ووضع التشريطات اللازمة لتعديلها، بإمكانها أن تتحول إلى بعض الاضطرابات والمشكلات السلوكية لدى الأبناء نحاول إبرازها فيما يأتي .

ثانيا: المشكلات السلوكية

يقول بعض العلماء أن "السلوك هو أي فعل يستجيب به الكائن الحي برمته لموقف ما، استجابة واضحة للعيان وتكون عضلية أو عقلية أو هما معا وتترتب هذه الاستجابة على تجربة سابقة"[14]، وهو مجموعة التصرفات والتعبيرات الخارجية التي يسعى عن طريقها الفرد للتأقلم والتوافق بين مقومات وجوده الباطني ومتطلبات الواقع الاجتماعي الذي هو جزء منه[15].

أما المشكلات فهي ما يقصد به الاضطرابات التي تصيب الأفراد وتنشأ كرد فعل للظروف البيئية غير الملائمة[16]، فإنها النمط الثابت والمتكرر من السلوك العدواني أو غير العدواني الذي تنتهك فيه حقوق الآخرين أو قيم المجتمع الأساسية أو قوانينه المناسبة لسن الطفل في البيت أو المدرسة، ووسط الرفاق أو في المجتمع، على أن يكون هذا السلوك أكثر من مجرد الإزعاج المعتاد أو مزحات الأطفال[17]، وقد تتخذ أشكالا مختلفة، كالكذب، والتخريب، والسرقة، والعدوان ... بمعنى يعتبر الأمر مشكلة سلوكية في حال لم يستجيب الطفل بسلوكه لتلك المعايير.

- بعض المشكلات السلوكية لدى الطفل :

لاشك في أن الكثير من تصرفات الإنسان وهو كبير لها صلة وثيقة بحياته وهو طفل، والصفات الشخصية الأساسية لكل فرد تحدد وترسم خطوطها العريضة في سن الطفولة[18]، والحقيقة أن جل المشكلات السلوكية التي تظهر على الطفل في هذه المرحلة وراءها حاجات كثيرة غير مشبعة، حيث تؤكد الباحثة " Eleonor Mc Kooby": أن الحاجات هي من المقومات الهامة في نمو الذات وتكوينها لدى الطفل، فكلما تحقق لها الإشباع ساهمت في تكوين مفهوم إيجابي لدى الطفل عن ذاته وكان متكيفا نفسيا واجتماعيا وإذا أعيق هذا الإشباع لجأ الطفل إلى الحيل الدفاعية التي تتحول إلى اضطرابات سلوكية فيما بعد[19]. ونؤكد في هذا المقام عن الحاجات الأساسية للأطفال خاصة منها الحاجة إلى الشعور بالأمـــن العاطفي، بمعنى أنهم محبوبون كأفراد ومرغوب فيهم لذاتهم وأنهم موضع حب واعتزاز الآخرين وتظهر هذه الحاجة مبكرة في نشأتها ولذا فإن الذي يقوم بإشباعها خير قيام هما الوالدان. هذا الأمان العاطفي شرط أساسي لانتظام

حياة الطفل النفسية واستقرار مشاعره الاجتماعية. وقد أثبتت دراسات كثيرة أنه بدون هذا الحب والأمن النفسي خصوصا في الطفولة المبكرة، يفشل الطفل في التفتح والازدهار من الناحية الجسمية وتنمو فيه اتجاهات شخصية معينة تعوق النموين العقلي والنفسي السليمين[20]. ويحتاج أيضا الطفل إلى توافر جو الطمأنينة والسلامة من حوله فكلما كان يشعر بهما كان ذلك مبعثا لمعرفة بقدراته التي يستطيع بها التغلب على ما يواجهه من مشكلات ومعرفة أيضا برأي الناس فيه مما يوحي إليه الثقة بالنفس[21] التي تكون دافعا إلى النجاح في كل ما يخوضه من أعمال.

ومن حاجات الطفل الأساسية أيضا، التوجيه السليم والقيادة الصحيحة فالحرية وحدها قد تكون عاملا هداما، والطفل في سنواته الأول لا يمكن أن يترك وشأنه يعبر بحرية كما يشاء في مجتمع له مقاييسه الخلفيـــة، فلا بد من المرشد الموجه الذي لا يكبت، وإنما يحول الحيوية الموجودة عند الطفل إلى الاتجاه النافع. فغريزة حب الإطلاع مثلا، قد تصبح عادة ذميمة إذا وصلت إلى مرحلة التطفل ن وقد تدفع الطفل إلى قراءة الرديء من الكتب والمجلات وبذلك يكون قد أساء استعمال الحرية لأنه لم يلق التوجيه الصحيح . هذا يعني أن الطفل يحتاج إلى قدر من التعرف على كل ما يحيط به كما يحتاج إلى إدراك أهمية شبكة العلاقات الاجتماعية مع الآخرين وهذه الحرية التي تمنح للطفل لا بد وأن تكون مشروطة بقيود إشرافية ومتابعة من جانب والديه تمكنه من التحرك دون الوقوع في الخطأ فهي حرية موجهة ومرشدة يمنحها الوالدين للطفل لتمكينه من معرفة ومسايرة الحياة الخارجية بخطى سليمة[22] .

إن مشكلات الطفل السلوكية المرتبطة بالحاجات الأساسية له والتي تعرف قصورا في إشباعها من طرف الآباء لسبب أو لآخر هي متعددة نستعرض البعض منها:

أ- الكذب: الكذب أسهل الذنوب اقترافا وأولها حضورا إلى ذهن الطفل لأنه يساعد على تغطية الكثير من عيوبه ومخالفته. وهو ليس خصلة أو صفة فطرية وإنما مكتسبة يساعد على تهيئتها، وللكذب أنواع متعددة بتعدد الدوافع إليه، ومن أهم أنواع الكذب[23]:

1- الكذب الخيالي: ويرتبط بخصوبة خيال الطفل التي تدفعه أحيانا لأن يروي قصصا خيالية خرافية، ويلفق أخبارا غريبة عجيبة، مدعيا أنها حقيقية وهذا النوع من الكذب هو إلا شكل من أشكال اللعب يتسلى به الطفل، ولا داعي للخوف والقلق منه.

2 - الكذب الإلتباسي: وكثيرا ما يسمع الطفل قصة خيالية، فيلتبس عليه، لقلة إدراكه، سواء كانت حقيقة واقعة أم من ضرب الخيال، فتراه يتحمس لها ويتحدث عنها كأنها حقيقة، وهذا النوع من الكذب سريع الزوال عند نضج الطفل.

3 – الكذب الأناني: والطفل يكذب أحيانا رغبة منه في تحقيق غرض شخصي، وسببه عدم توفر ثقة الطفل بمن حوله.

4 - الكذب الانتقامي: يكذب الطفل ليتهم غيره باتهامات تؤدي إلى عقابه أو تشويه سمعته، ويحدث هذا بسبب الغيرة ولعله شائع عند البنات أكثر منـــه عند البنين .

5- الكذب الوقائي : وخوفا مما يقع عليه من مسؤولية أو عقاب يلجأ الطفل إلى الكذب، وسبب هذا النوع من الكذب القسوة التي يعامل بها الأب ابنه، أو المعلم تلميذه وكثيرا ما نلاحظ في المدرسة أن أحد التلاميذ يكذب ليحمي نفسه أو رفيقه من عقاب المعلم .

6 - كذب التقليد: ويحدث أحيانا أن الطفل يكذب تقليدا لوالديه أو لمن حوله، وتتكون لديه بحكم التكرار خاصة الكذب بالتدريج.

7 – الكذب المرضي: ويصل الكذب أحيانا عند الشخص إلى حد الإنكار منه حتى يتمكن الكذب من نفسه، ويصدر عنه رغما عن إرادته، ويصبح الدافع للكذب غير شعوري.

ب – السرقة : إن الأمانة، وكذلك السرقة، ليست صفات فطرية يولد الإنسان مزوادا بها، وإنما تكتسب صفة الأمانة أو صفة السرقة اكتسابا عن طريق نوع التربية التي نتلقاها في المنزل أو المدرسة من خلال الممارسة، ومن خلال التدريب والتعلم، ومن القدوة كذلك .

أما الأسس الطبيعية للسرقة عند الإنسان فترجع إلى ميل الفرد في التملك. فالطفل مثلا، يشعر بالحاجة للملكية شعورا تلقائيا في سن مبكرة جدا، إذ يبدأ يشعر بهذه الحاجة خلال الفترة الأخيرة من السنة الأولى[24]، ومن ثم فإن حسن تربية هذا الدافع الطبيعي نحو التملك وتوجيهه الوجهة الصحيحة يؤدي في النهاية إلى أن يعرف الطفل ما يحق له، وما يحق لغيره . فالطفل إذا لم يدرب في محيط العائلة إلى التفرقة بين ما يخصه، وبين

ما يخص غيره، كان من الصعب أن نتوقع منه أن يكون أكثر تمييزا بين ما يحق له ولا يحق له خارج بيته. فكل تهاون فيما يقوم به الطفل من الاعتداء على أشياء غيره في المنزل والاستحواذ عليها لنفسه من طرف الآباء لها علاقة بالسرقة عنده في مرحلة لاحقة.

بهذا المعنى يمكن القول بأن هناك دوافع غير مباشرة تدفع الطفل إلى السرقة، أي أن السرقة لا تكون غاية في ذاتها، وإنما تكون وسيلة لتحقيق غاية أبعد منها. على أننا قد نجد بعض الحالات التي يقوم فيها الطفل بسرقة بعض الأشياء لذات السرقة، فقد يرى الطفل شيئا معينا يتوق إليه ويدرك إدراكا تاما أنه ليس في وسعه أو وسع أهله الحصول عليه، بحيث يقر في نفسه أنه لا يمكن الوصول إليه إلا بالسرقة. إلا أن المألوف في سرقات الأطفال أن تكون الأشياء التي يسرقونها ليست في الحقيقة هدفهم الذي يعملون للوصول إليه، بل أن الشيء المسروق ليس سوى أداة تستخدم في إصابة الهدف المرغوب الذي كثيرا ما يكون خافيا على الطفل نفسه كل الخفاء، لأنها غالبا ما تكون مخبأة في لا شعوره نتيجة كبت وحرمان سابق. ومن بين الدوافع اللاشعورية التي وراء السرقة: الغيرة، أو الرغبة في الانتقام، أو الشعور بالقصور أو الحرمان والرغبة في التعويض[25].

فقد تبدأ السرقة عند الطفل في مرحلة أولى لسبب إشباع ميل، أو عاطفة ويمكن أن تتحول في مرحلة أخرى إلى الانتقام، فقد يسرق مثلا الطفل التلميذ الأدوات والكتب، انتقاما من رفاق يعتدون عليه. وقد يتأجج هذا السلوك (السرقة) بدافع الغيرة أو التعويض أو الشعور بالنقص. ولكن إذا زادت واستمرت لدى الطفل يمكن أن تتحول إلى مرض يلازمه متى نجده يسرق أحيانا دون أن يشعر[26].

ج- الميول العدوانية ومظاهرها :

فالعدوان سلوك يميل إليه بعض الأطفال، وقد يكون في البيئة الأسرية أو البيئة الخارجية للأطفال ويظهر ذلك في أقوالهم أو في أفعالهم.

ولا شك أن الميول العدوانية لها أسسها الفطرية عند الإنسان فالميل للمقاتلة له قيمة حيوية في حياة الفرد، إذ بواسطته يتغلب على العقبات التي تحول دون تحقيق ميوله وحاجاته الأخرى المشروعة كالملكية والطعام والحرية... ويكون أحيانا له ضرورة تبرره

لصون الشرف والكرامة والسمعة والمال. كما أنه يحمل نزعات للتخريب والمخاطرة والتفوق وتوكيد الذات. ومن: مظاهر الميول العدوانية لدى، ما يلي :

1. العناد : وهو مظهر بسيط من مظاهر هذه الميول، حيث يبدأ عند الطفل في وقت مبكر من حياته، ويلاحظه الأهل قويا في سن (3–5) وهي مرحلة توكيد الذات، ولكن لا يلبث حتى تخمد حدته بتأثير النمـــو والنضج. على أن العناد يبقى قويا عند بعض الأطفال في المدرسة الابتدائية ويظهر في مقاومة الطفل لطلبات المدرسة، وتحديه لتوجيهات المعلمين.

2– الاعتداء : وهو أقوى مظاهر الميول العدوانية، فكثيرا ما نرى طفلا يدفع طفلا آخر ويضربه، أو يشد شعره (عند البنات) أو يقتصب لعبه وأدواته وقد دلت البحوث على أن استعداد الذكور للتشاجر أكثر من استعداد الإناث له، ويقل وقوعه بين ذكر وأنثى[27] . وقد يكون العدوان مباشر أو غير مباشر .

إن العدوان المباشر– ووسيلته غالبا ما يظهر في استعمال القوة الجسدية – وهو الذي يستهدف الشخص نفسه المسؤول عن التعويق أو الإذلال. لكن غالبا ما يتعرض العدوان المباشر – وخاصة بالنسبة إلى التلميذ الصغير– عوامل كثيرة تحول دون تحقيقه: كالخوف من النتائج التي تترتب على هـــذا الفعل، كأن يكون المقصود بالعدوان قادرا على أن يلحق بالمنتـــقم أكبر أذى، أو أنه يخشى استهجان المجتمع لهذا الاعتداء المباشر، إلى آخر هذه العوامل التي تتنوع وتختلف بحسب الظروف الخاصة بكل موقف على حـــدة . وكلما كبر الأطفال زاد إدراكهم لهذه العوامل، ومن ثم تصبح أشكال العدوان أكثر التواء، وأخفى مسلكا، أي أنها تتخذ أساليب غير مباشرة في التعبير عن هذا الاحتياج إلى العدوان، ومن بين هذه الأساليب مثـــلا: توجيه النقد الحاد إلى سلوك الشخص الذي يراد إلحاق الأذى به، والحط من قيمة أعماله، وتشويه أقواله بإحاطتها بالفكاهة اللاذعة، أو إغاظته بالحيل البارعة.

وكثيرا ما تساور الطفل رغبة جامحة في صب عدوانه على أبويه أو على معلميه، أو على جميع من يمثلون السلطة بالنسبة إليه. وهو في هذه الحالة يشعر بشيء من الخيبـــة والفشل. ولكنه لا يلبث أن يتحول عدوانه إلى ((شخص بديل))، وقد يتحول عدوانه إلى نوع من ((التخريب)) فيفسد كل ما تدركه يداه.

وهناك عوامل كثيرة تكون سببا في عمليات التعويق والإحباط التي يعاني منها الطفل وهي جميعها تتلخص في الأساليب التي تحول دون تحقيق إشباع الحاجات الأساسية للطفل، كالحاجة إلى الطعام والحاجة إلى الأمن والحاجة إلى العطف والحاجة إلى اللعب... إلخ[28].

أخيرا يمكن القول بأن مثلما يعيش الطفل ويتفاعل مع أسرته خلال مواقف التنشئة الاجتماعية، فإنه يعيش كذلك في مدرسته، ويتفاعل مع محيطها ومع مختلف أعضائها بما فيذلك رفاقه، كما يتأثر بما تبثه له وسائل الإعلام. ومن هنا نعتقد أنه لا يمكن إرجاع تشكيل السلوكات غير السوية لدى الطفل إلى الأسرة وحدها ولأنماط المعاملة الوالدية بداخلها مهما عظم دورها، وإنما تساهم كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى في ذلك.

الهوامش:

(1) فؤاد البهي السيد وآخرون : **علم النفس الاجتماعي- رؤية معاصرة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، ص 127 .

(2) كمال دسوقي: **النمو التربوي للطفل والمراهق**، دار النهضة العربية، بيروت، 1979، ص 343 .

(3) محمود فتحي عكاشة: **مدخل إلى علم النفس الاجتماعي**، دار الكتب، القاهرة – مصر، 1997، ص 68.

(4) نصر الدين جابر : "**انعكاسات التقبل/الرفض الوالدي على تكيف الأبناء في فترة المراهقة** "، **مجلة العلوم الإنسانية**، جامعة منتوري- قسنطينة، الجزائر، العدد 9، 1998، ص38 .

(*) يقصد بالأساليب الصحيحة في التربية تلك الأساليب المتضمنة في نمط السواء، وهو النمط الأنسب لتحقيق الصحة النفسية للطفل، لأنه يتجنب الأساليب غير السوية في التربية. أما الأساليب الخاطئة فهي تلك التي تخرج عن نطاق السواء، أي غير سوية، وجلها يميل إلى الإفراط في المعاملة، فيكون بذلك تأثيرها سلبيا على تنشئة الطفل .

(5) أحمد اسماعيل: **مشكلات الطفل وأساليب معاملة الوالدين**، دار الفكر الجامعي الأسكندرية، 1990، ص72-77 .

(6) صالح محمد أبو جادو: **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، ط1، دار المسيرة،عمان: ص249 .

(7) نصر الدين جابر، مرجع سابق، ص40.

(8) علي محمد جعفر: **الأحداث المنحرفون دراسة مقارنة**، مؤسسة الجامعة للدراسات والنشر، بيروت، 1985، ص53-54 .

(9) محمود فتحي عكاشة، مرجع سبق ذكره، ص74.

(10) محمود السيد أبو النيل: **علم النفس الاجتماعي**، الجزء الثاني، ط 4، دار النهضة العربية، بيروت، 1985، ص50.

(11) محمد جميل ومحمد يوسف منصور : **قراءات في مشاكل الطفولة**، ط1، تهامة – جدة، 1985، ص163 .

(12) محمود فتحي عكاشة، مرجع سبق ذكره، ص75.

(13) أحمد سيد إسماعيل، مرجع سبق ذكره، ص92-94 .

(14) أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت: 1982، ص 59.

(15) حامد ربيع: **مقدمة في العلوم السلوكية**، دار الجيل، دمشق، 1981، ص56 .

(16) جمعة سيد يوسف: **الاضطرابات السلوكية وعلاجها**، دار غريب، القاهرة، 2000، ص29 .

(17) نفس المرجع، نفس الصفحة .

(18) علاء الدين دللو : **علم النفس وحياة الطفل**، دار المعلمين، عنابة–الجزائر، 1970، ص50.

(19) صالح محمد علي أبو جادو، مرجع سبق ذكره، ص164 .

(20) كمال دسوقي : مرجع سبق ذكره، ص 137-138 .

(21) خيري خليل الجميلي : **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة**، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، 1993، ص110 .

(22) علاء الدين دللو، مرجع سبق ذكره، ص38 .

(23) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية، ط6، النهضة المصرية، القاهرة، 1962، ص 339.

(24) علاء الدين دللو، مرجع سبق ذكره، ص50.

(25) جمعة سيد يوسف، مرجع سبق ذكره، ص269 .

(26) علاء الدين دللو، مرجع سبق ذكره، ص54-58 .

(27) نفس المرجع والصفحة .

(28) سامية محمد فهمي: **المشكلات الاجتماعية–منظور الممارسة في الرعاية والخدمة الاجتماعية**، دار المعارف، مصر، 1997، ص197-198 .